

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[319] اللاهذية والأعمال الباطلة، فإذا اعترضهم هذا النوع من الأعمال في مسير حياتهم، مروا بمحاذاتها مرور اللامبالي، ولا مبالاتهم نفسها دليل على عدم رضاهم الداخلي عن هذه الأعمال، فهم عظماء بحيث لا تؤثر عليهم الأجواء الفاسدة ولا تغيرهم. ولا شك أن عدم اعتنائهم بهذه الأمور من جهة أنهم لا طريق لهم إلى مواجهة الفساد والنهي عن المنكر، وإلا فلا شك أنهم سوف يقفون ويؤدون تكاليفهم حتى المرحلة الأخيرة. الصفة الحادية عشر لهذه النخبة امتلاك العين الباصرة والأذن السامعة حين مواجهتهم آيات الخالق، فيقول تعالى: (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً). من المسلم أن المقصود ليس الإشارة إلى عمل الكفار، ذلك لأنهم لا اعتناء لهم بآيات الله أصلاً، بل إن المقصود: فئة المنافقين أو مسلمو الظاهر، الذين يقعون على آيات الله بأعين وآذان موصدة، دون أن يتدبروا حقائقها ويسبروا غورها، فيعرفوا ما يريد الله ويتفكروا فيه، ويستهدوه في أعمالهم. ولا يمكن طي طريق الله بعين وأذن موصدتين، فالأذن السامعة والعين الباصرة لازمتان لطبي هذا الطريق، العين الناطرة في الباطن، المتعمقة في الأشياء، والأذن المرهفة العارفة بلطائف الحكمة. ولو تأملنا جيداً لأدركنا أن ضرر هذه الفئة ذات الأعين والآذان الموصدة وفي طينها أنهم تتبع الآيات الإلهية، ليس أقل من ضرر الأعداء الذين يطعنون بأصل شريعة الحق عن وعي وسبق إصرار، بل أن ضررهم أكثر بمراتب أحياناً. التلقي الواعي عن الدين هو المعين الأساس للمقاومة والثبات والصمود، لأن من اليسير خداع من يقتصر على طواهر الدين، وبتحريفه يتم الإنحراف عن الخط الأصيل، فيهوي بهم ذلك إلى وادي الكفر والضلالة وعدم الإيمان.